حائـــــية هاشم الرفاعي في ذكري ميلاد الرســـول صلى اللّه عليه وسلـــــم دراسة بلاغيـــة

الدكتـــــور
عبد الرزاق عبدالعليم ريان الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة:

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعـين.

وبعـــد

فالشاعر هاشم الرفاعي من شعراء العصر الحديث (١٩٣٥ـ ١٩٥٩م) قد نشأ فى بيئة دينية كان لها الأثر الكبير فى شخصيته ، ثم تعلم فى الأزهر الشريف من عام ١٩٤٧م وحتى عام ١٩٥٦م ، ثم التحق بكلية دار العلوم فى العام نفسه، فقضى بها ثلاث سنوات فقط ثم أدركته المنية فى ريعان شبابه فتوفى عام ١٩٥٩م وكان ذا غيرة على الإسلام والوطن ، وقال الشعر وهو صغير وبرزت معالم شخصيته فى وقت مبكر، وتميز عن أقرانه فى دراسته مما جعله يقود الطلبة فى مظاهرات ضد الاحتلال البريطاني ، ونظم كثيرا من القصائد الشعرية فى موضوعات مختلفة ، ومجالات متعددة حتى إن قصائده بلغت سبعا وثمانين ومائة قصيدة خلاف المسرحية الشعرية(١).

وقصائده هذه وضعها محقق الديوان أخوه عبد الرحيم جامع تحت مجموعات، بلغت أربع عشرة مجموعة ، بيانها كالتالـــى:ـ

١ـ مجموعة تحت عنوان (فى ظلال الريف) وبلغت عشر قصائد.
٢ـ مجموعة تحت عنوان(من وحى السيرة النبوية) وبلغت تسع قصائد.
٣ـ مجموعة بعنوان (تحت راية الإسلام) وبلغت عشرين قصيدة.

---

(١) ديوان هاشم الرفاعى ـ الأعمال الكاملة ـ ص ٩٤ تحقيق ودراسة عبد الرحيم جامع الرفاعى ـ مكتبة الإيمان ـ المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر.

٤ـ مجموعة بعنوان (مواقف وطنية وعربية) وبلغت ثمانيا وعشرين قصيدة
٥ـ مجموعة تحمل عنوان (جراح مصر) وبلغت عشر قصائد.
٦ـ مجموعة تحمل عنوان (صور عاطفية) وبلغت ثلاث عشرة قصيدة.
٧ـ مجموعة عنوانها (فى محيط الأسرة) وبلغت أربع قصائد.
٨ـ مجموعة عنوانها(آهات شريدة) ومجموعها ثمانى قصائد.
٩ـ مجموعة مُعَنونة بـ (صور وذكريات) ومجموعها تسع عشرة قصيدة .
١٠ـ مجموعة مُعَنونة بـ(مديح) ومجموعها ثلاث وعشرون قصيدة.
١١ـ مجموعة جعل عنوانها(هجاء) ومجموع قصائدها إحدى عشرة.
١٢ـ مجموعة جعل عنوانها (رثاء) ومجموع قصائدها أربع عشرة.
١٣ـ مسرحـــــــــية .
١٤ـ مجموعة بعنوان (شعر فكاهى وزجل) وبلغت ثمانى عشرة قصيدة .

وإنما ذكرت هذا العمل الأدبي ليقف القارئ على مدي الجهد الذى بُذل، وعلى الفكر الثاقب الذى أنتج هذا الكم الهائل فى فترة قصيرة، فعمره الأدبي قرابة العشر سنوات فقـــط.

وقد وقع بصرى على عمل أدبى دينى ، يتميز صاحبه بالحب العميق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يندرج تحت المجموعة الثانية، والتى عنوانها (**من وحى السيرة النبوية**) فاخترت قصيدة بعنوان (**ميلاد الرسول**) وقد ألقاها شاعرنا فى الاحتفال بالمولد النبى بأنشاص

(**بلدة الشاعر**) فى الثالث من شهر ديسمبر عام تسعة وأربعين وتسعمائة وألف ، ويبلغ عدد أبياتها أربعة وثلاثين بيتا ، ولنا أن نعجب من تدفق شاعرية هاشم الرفاعى فهو شاعر موهوب منذ طفولته ، ففى مثل سنه هذا يلعب الأبناء ،

ولكن هذا يحس ويتذوق وينبغ ويأتى بأروع الألفاظ الحاملة لأجمل المعانى ، فسبحان الواهب !! .

وقد تناولتها بالشرح والتحليل البلاغي ، فكان هذا العمل المتواضع تحت عنوان (حائية هاشم الرفاعى فى ذكري ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة بلاغية) وقيدتها بالحائية ، لأن له أكثر من قصيدة فى ذكري ميلاد الرسول ، ولكنها مختلفة القافية ، فأردت تخصيصها حتى تتميز عن بقية قصائده فى هـذا المجال .

وقد قمت بعون الله وتوفيقه وفضله بتحليل القصيدة تحليلا بلاغيا يكشف عما حوته أبياتها من أسرار بلاغية فوق ما تتميز به من ألفاظ رصينة ومعانٍ قوية متينة بفضل ما أوتى قائلها من ذهن ثاقب وفكر جياش.

هنا وقد قام أخوه الأكبر الشيخ مصطفى الرفاعى بجمع مخطوطات الشاعر وبوبها وعلق عليها وسلمها للأستاذ محمد كامل حته ليحققها وطبع الديوان على نفقة وزارة التربية والتعليم تحت عنوان (**الشاعر الشهيد**) وأيضا قام الأستاذ محمد حسن بريغش بإعداد وتحقيق آخر للأعمال الكاملة للشاعر ونشرها بالسعودية[1].

والعمل الثالث قام به أخوه أيضا عبد الرحيم جامع الرفاعى فقد جمع ديوانه وسماه (ديوان هاشم الرفاعى ـ الأعمال الكاملة ـ تحقيق ودراسة عبد الرحيم جامع الرفاعى) وهذا يدلنا على مكانة الشاعر السامية .

---

(١) انظر ديوان هاشم الرفاعى ـ الأعمال الكاملة ـ تحقيق عبد الرحيم جامع الرفاعى ص ٩٥.

ومنهجى فى هذا البحث هو وضع المجموعة من الأبيات المتناسبة فى المعنى تحت عنوان ، ثم أقوم بشرح هذه الأبيات شرحا أدبيا يفى بالغرض، مع بيان معاني الألفاظ الصعبة بأسفل الصفحة ، ثم يأتى المقصود الأسمى من البحث وهو التحليل البلاغى لما اشتملت عليه الأبيات من علوم البلاغة الثلاثة ، كاشفا عن سر التعبير بها ، ومدي توفيق الشاعر فى استعمالها.

أما الخطة فهى كما يلـى :ـ

١) **المقدمـة** : وذكـرت فيهـا سـبب اختيـارى لموضـوع البحـث ، والمـنهج الذى اتبعته ، والخطة التى سرت عليها .

٢) **التمـهيد**: وسقت فيه تعريفا بالشاعر وحياته وعلمه وثقافته ومنزلته الأدبية ثم وفاتـــه .

٣) **ذكر القصيدة كاملة** ثم تقسيمها إلى خمس مقطوعات كل مقطوعة تحمل عنوانـا مناسبا وهى مرتبة كالتالـــى:ـ

١ـ فرح واستبشار، واشتملت على الأبيات من ١ ـ ١٠

٢ـ وصف مهمة الرسول وقوة تحمله،واشتملت على الأبيات من ١١ـ ١٧

٣ـ ليلة الهجرة، واحتوت على الأبيات من ١٨ ـ ٢٢

٤ـ صفة الصحابة ، واحتوت على الأبيات من ٢٣ ـ ٢٧

٥ـ فتح مكة وعفو الرسول عن أهلها، واحتوت على الأبيات من ٢٨ ـ٣٤

٤) ثـم تأتى الخاتمـة تحمل ابرز ما تميـز بـه الشـاعر مـن تعبـيرات واسـتخدامات بلاغية وأدبية ، وما استخدمه بكثرة من الألوان البلاغية وماأقل منه.

٥) ثـم ذيلـت البحـث بـذكر المصـادر والمراجـع التـى اسـتفدت منهـا، ثـم يأتى فهرس الموضوعات كختام للبحث .

واللهَ أسأل التوفيق والسداد ، وأن يجنبنى الزلل بقدرتـه ،

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيـب

دكتور

عبد الرزاق عبد العليم ريان الشريف

٢١/ ٣/ ٢٠١١م

تمهـــــيد

هاشم الرفاعى وحياتـه : (١٩٣٥ ـ ١٩٥٩م).

فى قرية (**أنشاص الرمل**) محافظة الشرقية كان مولده ، واشتهر باسم جده الذى أطلقوه عليه لشهرته ونبوغه ، وتيُّمـنًا بما عرف عنه من علم وفضل ، فقد كان أحد العلماء الفضلاء من أعلام التصوف السنى الذى تلقاه عن والده مصطفى الجد الأكبر والذى كان أحد علماء الأزهر الشريف .

فهو: السيد جامع هاشم مصطفى الرفاعى.

وأبوه : الشيخ جامع حفظ القرآن على يد والده، ولم يتخرج فى معهد علمى، وتوفى عام ١٩٤٩م وكان شاعرنا وقت وفاة أبيه لم يتجاوز أربعة عشر عاما.

ووالدتـه : هى أم محمد محمد عبد الرحمن زعير من كفر سنباط مركز زفتى محافظة الغربية ، وكانت أمية شأنها شأن الكثير من السيدات آنـذاك.

وله تسعة أشقاء ستة من الذكور ، وثلاث من الإناث(١).

فهو من دوحة طيبة ثابتة الأصول كريمة الخلال باسقة الأغصان ومنها جاء الشاعر الفتى المغوار فنشأ شاعرنا فى بيت علم يزخر بالتراث الأدبي والدينى، ويحرص على التربية والسلوك الإسلامى(٢).

---

(١) ديوان هاشم الرفاعى الأعمال الكاملة ص ٧.

(٢) الشاعر الشهيد للشيخ مصطفى الرفاعى ص١٠ تحقيق محمد كامل حتة ـ دارالمعارف بمصر ١٩٦١م.

علمـه وثقافتـــه:ـ

التحق هاشم الرفاعى بمعهد الزقازيق الدينى عام ١٩٤٧م ، وبدأ نظم الشعر فى سن مبكرة ، أمضى تسع سنوات بالزقازيق حتى ١٩٥٦م (مدة الدراسة بالابتدائي والثانوي بالأزهر آنـذاك).

اشترك فى مظاهرات عديدة ضد الفساد ، ونظم مجموعة من القصائد ولم يتجاوز أربعة عشر عاما ، وهذا يدل على شاعريته المبكرة.

ولما أتم الدراسة الثانوية الأزهريـة التحق بكلية دار العلوم فى العام نفسه ، فتفتقت شاعريته بكل مقوماتها ، وشجعـه بعض أساتذته أمثال الأستاذ على الجندى ـ رحمه الله ـ الذى كان له أكبر الأثر فى ذلك حيث ولاه لجنة الشعر ، ومسئولية النشاط الأدبي[1].

مـنزلته الأدبيـــة:

طالـع هاشـم الرفاعى كثيرا من نتاج الأدباء الكبار أمثال العقاد وطه حسين والرافعى وغيرهم، فاستقى من معينهم ، وظهر أثر ذلك فى شعره، وذاع صيته فى مصر ودمشق لدرجة أن نبوغه هذا وتفوقه كان سببا فى ظهور أعداء له ، قصرت بهم عزيمتهم عن اللحاق به ، وكلما أضاء نجم الشاعر كلما ازداد حقدهم عليه ، حتى أدى بهم هذا الحقـد فى النهاية إلى طعنه بسكين كما سنذكر عند التعرض لوفاته ، وقال عنه الأستاذ زكى المهندس عميد كلية دار العلوم الأسبق

---

(١) انظر الشاعر هاشم الرفاعى ـ اغتراب وألم . للدكتور/ محمد على سيد أحمد داود ـ رحمه الله ـ ص ٣١ الطبعة الأولى ١٩٩١م بمطبعة الأمانة ـ جزيرة بدران بشبرا مصر.

وعضو مجمع اللغة العربية الأسبق: لو عاش هاشم الرفاعى إلى سن الثلاثين لكان أشعر أهل زمانـــه(١).

وكما ذكرنا فى المقدمة أنه نظم كثيرا من القصائد الشعرية المتنوعة حتى إنها بلغت ١٨٧ قصيدة خلاف المسرحية الشعرية ، وهذا يدل على عظم منزلته الأدبية وعلو شأنه فى هـذا المضمار .

وفاتـــــه:ـ

بعد أدائـه لامتحان آخر العام فى الفرقة الثالثة بكلية دار العلوم عاد إلى بلده لقضاء الأجازة الصيفية ، ليشارك فى احتفالات الثورة فى يوليو من عام ١٩٥٩م ، وكانت هناك خلافات على من يتولى تشكيل مجلس إدارة نادى أنشاص الرياضي ، فكان من الطبيعى أن يكون له أنصار ومعارضون ، فقام هاشم ومؤيدوه بالاستيلاء على النادي، وشكلوا مجلس إدارة بمعرفتهم ، مما أثار حفيظة الفريق المعارض ، ولكنهم اجتمعوا وتصالحوا لكنها مصالحة زائفة، إذ حدثت مشادة كلامية بين الفريقين ، فحاول فريق ثالث التهدئة ولكن هيهات، فما هى إلا لحظات حتى امتدت يد أحدهم إلى الشاعر وطعنه بسكين ، نُقل على إثرها إلى مستشفى بلبيس المركزى، حيث فارق الحياة وسط ذهول أهل القرية ودفن ببلدتـــه(٢).

وكان هـذا فى الثاني من يولـيو ١٩٥٩م حيث كان عمره أربعة وعشرين عامـا.

---

(١) ديوان هاشم الرفاعى تحقيق عبد الرحيم جامع ص ٩٧.
(٢) المرجع السابق ص ٩١.

وهكـذا كان هاشم الرفاعى نجما ساطعا، فخبا، وكان مصباحا فانطفأ، وكان زهرة ناضرة فذبلت ، وعزاؤنا فيه أنه مات شهيد العلم والمعرفة والدفاع عن وطـنه وعقيدتـــه.

رحم الله هاشـــم الرفاعـى رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة والعطاء، وأسكـنه الفردوس الأعلى ، إنه سميع قريب مجيب.

القصيدة وهى بعنوان (ميلاد الرســول)

يقـــول هاشم الرفاعـى:(١)

١ـ دَعْ عنْك خَمرك ياناديمَ الـراح	إنى طربْتُ بخمْـرة الأفْـراحَ
٢ـ قدْ بت نشواناً فهل شهد الملا	نشوان لم يشْربْ من الأقـــداح
٣ـ شهرَ الربيع حللت نوراً ساطعاً	يجلو ظلام الكرب والأتـــراح
٤ـ فرحَ الأنامُ أما رأيتَ قلوبهم	سعدت بنور جبينكَ الوضـاح
٥ـ بالروضة الغناء غـردَ بلبُـلُ	فوق الغصونِ بصوتـه الصـداح
٦ـ والكوْن يملؤُه الضياءُ كأنــه	قـدْ لف من نور الهدى بوشـاح
٧ـ للهدىَ بابُ كان أغلقَ دوننـا	واللهُ أرسَـل فيكَ بالمفتـــاح
٨ـ حدثْ أياشهرَ الربيع وصف لنا	يوماً أهل بعطـره الفـــواح
٩ـ يوماً به ولد الهدى فضيـاؤه	قد عمَّ مكـة من ربا وبطـاح
١٠ـ يوماً على هام الزمان متوجاً	فالكونُ فيه أنيرَ بالمصبـــاح

---

(١) انظر القصيدة فى (ديوان هاشم الرفاعى ـ الأعمال الكاملة) ص ١٢٤ تحقيق ودراسة عبد الرحيم جامـع الرفاعى ـ مكتبة الإيمان بالمنصورة ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م وألقـيت فى الاحتفال بالمولـد النبوى بأنشاص (٣ ديسمبر ١٩٤٩م).

١١ـ هذا الذى قد جاءنا برسالـة	تهدى وتُرْشدُنا سبيـل فـــلاح
١٢ـ نشر الهداية فى الجهالة فانطوت	مثل الظلام طواه نورُ صـــباح
١٣ـ لم يثن عزم محمدٍ قولُ الملا	قـدْ نا له مس مـــن الأرواح
١٤ـ أوْيستكنْ لما رَمَوهُ لجهلهـم	فأصيب من أحجارهـم بجـراح
١٥ـ لكَ يابنَ عبدالله عزْمُ مثابـر	تدعُو بجد لم يُشَبْ بمُـــزاح
١٦ـ لله أنتَ لقد آذَوكَ فأمْعنـوا	وجنوا عليْكَ بغُـــدْوَة وَرَواح
١٧ـ قد قاومتكَ عصابـة شريرة	منْ كل باغٍ مُشركٍ ســـفَّاح
١٨ـ إذ قُمتَ تبنى للمنار دعائمـاً	وتقيمُ رُكنَ الهدىَ والإصْـــلاح
١٩ـ فأتوْا بجمع من شباب طائش	قد دججوهُ بعـدة وســـلاح
٢٠ـ قالوا لهُ اذهبْ فأتين بأحمـد	فوقَ السيوفِ وفوقَ سنَّ رمـاح
٢١ـ لنْ يستطيع شبابُهم نيل المنى	قسماً بربى فالـق الإصـــباح
٢٢ـ فسلاحهم غدر وبغىُ جهالـةٍ	وسلاحُه نصر مـن الفـــتاح
٢٣ـ فى جنة الرضوان قوم قدْ أبوا	إلا الصمود أمام كـلِّ ريـــاح
٢٤ـ قد أشربوا كأسَ العذاب فلم تلنْ	منهمُ قناة عزيمـةٍ يا صـــاح
٢٥ـ فحديثُ عمارٍ ومن فى الله قد	ذاق العنا والظلم كابن ريـــاح
٢٦ـ قد فاه بالتوحيد لم يشكُ الأسى	إذ عذبوه ولم يفـه بنـــواح
٢٧ـ فهو الجديرُ بأن يكون مؤذنا	فى يوم كلل سعيهم بنجـــاح
٢٨ـ ألقت قريشُ وأيقنتْ بهلاكها	سيفَ الضلالة دونَ أىَّ نُبَـــاح
٢٩ـ لما تقدمت الكتائب نحوهـا	ما بينَ تكبيرٍ وبين صـــياح
٣٠ـ جزعَ البغاةُ من الرسول لأنهم	كمْ أتعبوه بشـدةٍ وكفـــاح
٣١ـ فرحوا فما ألفوْهُ أهْل عداوة	بلْ أهلَ مغفرةٍ وأهـلَ ســماح

٣٢ـ بسَطَ السَّلامُ على الربوع جناحه	لما أضاءَ الكونَ نورُ الماحِـى
٣٣ـ عرفُوا الطريقَ إلى الرشادِ وأدركوا	بالهُدى كلَّ مُحـرَّمٍ ومُـباح
٣٤ـ اللهُ أكبرَ قَدْ أعزَّ جنـودَهُ	والبُطْلُ قَدْ أَضْحى بغـير جَـناح

١ـ فَـرحٌ واسـتبشار

١ـ دع عنك خمـرك ياندِيم الرَّاح	إنى طربْتُ بخمرة الأفـراح(١)
٢ـ قد بت نشواناً فهل شهد الملا	نشوانَ لم يشرب من الأقـداح(٢)
٣ـ شهر الربيع حَلَلتَ نوراً ساطعا	يجلو ظلام الكرب والأتـراح(٣)
٤ـ فرح الأنام أما رأيت قلوبهم	سعدت بنور جبينك الوضّـاح(٤)
٥ـ بالروضة الغناء غرد بلبـل	فوق الغصون بصوته الصداح(٥)
٦ـ والكون يملؤه الضياء كأنـه	قد لفَّ من نـور الهدى بوشاح(٦)
٧ـ للهدى باب كان أغلـق دوننا	والله أرسل فيك بالمفـتاح

---

(١) النديم : هو المصاحب على الشراب ، الجالس على مائدة الخمر ـ الراح : الخمر.

(٢) النشوان : السكران فى أول أمره ، والنشوة: أول السكر والارتياح للأمر والنشاط له ـ الملا: أى : الملأ وهم الجماعة وأشراف القوم وسراتهم ، والجمع أملاء (انظر هذه المعانى فى لسان العرب لابن منظور كل تحت مادته).

(٣) الأتراح : جمع ترح وهى الأحزان نقول : ترح ترحاً أى: حزن حزناً.

(٤) الأنام: الخلق ـ الوضاح : الأبيض اللون الحسنه ، والوضح: بياض الصبح ، ومعنى الوضاح كثير الوضوح.

(٥) الغناء: المكان الكثير الشجر الملتف حول بعضه ، والغنة: صوت يخرج من الخيشوم ـ الصدَّاح: صيغة مبالغة من صدح أى: رفع صوته فأطرب غيره.

(٦) الوشاح : ما يتشح به وهو نسيج عريض يرصع بالجوهر للمرأة تشده بين عاتقها وكشحيها، وهو نسيج عريض ملون يشده القاضى أو النائب بين عاتقه وكشحه فى المحكمة (لسان العرب).

٨ـ حَدث أياشهر الربيع وصف لنا	يوما أهلَّ بعطـره الفـــواح
٩ـ يوماً به ولد الهدى فضـــياؤه	قدْ عمَّ مكـة منْ رُباً وبطـاح
١٠ـ يوما على هام الزمان متوجاً	فالكونُ فيه أنـــيرَ بالمصباح

المعـــني الإجمالـــي:

يستهل الشاعر قصيدته بهذا المطلع الرمزي ـ وهو عادة المتصوفين ـ فيأمر النديم الذى يجلس على مائدة الخمر مع صاحبه بأن يترك الخمر الذى هو من صنع البشر ، فهناك خمر ألذ من هذا وأجمل يُطرب منه وهو خمرة الأفراح التى يحسها المسلم المؤمن ويلتذ بها وهى مناسبة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فالشاعر قد بات نشوانا ثملا فرحا مسرورا بهذه المناسبة ، ولكن نشوته ليست بسبب احتساء الخمر، بل لحلول شهر ربيع الأول الذى شرفه الله بمولد الرسول فيه ، وعجبا أن يرى الناسُ نشوانا من غير احتساء خمر ، فهو ملتذ معنويا ونفسيا وجسديا.

ثـم ينادي شهر ربيع الأول بقوله : شهر الربيع حللت نورا ساطعا، ويقصد بذلك أن الشهر أنار الدنيا لأنه شهر مولد النور صلى الله عليه وسلم فهو النور الساطع الذى يجلو ويزيح ظلام الكرب والهم والأحزان التى يعانى منها الناس.

فلقـد فرح الخلق كلهم بقدوم شهر ربيع ، والدليل على هذا أنك ترى قلوبهم سعدت بنور وجهه الوضاح ، وشارك فرحة الناس الطيورُ والبلابلُ بالروضـــة الغناء تغـرد فوق الغصون بصوتها العذب الذى لا ينقطع ابتهاجا بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الكون كله يملؤه الضياء والنور حتى كأنه قد توشح من نور الهدى بوشاح فزاد من حسنه وجماله.

وباب الهدى كان قد أغلق نظرا للأعمال التى تقع من الجاهليين ومما يفعلونه من وأد البنات ونهب وسلب وشرب خمر ، ولكن الله قد مَـنَّ على البشرية فأرسل إليهم من يفتح باب الهدى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو الفاتح لما أغلـق، والخاتم لما سبق .

ثـم يطلب من شهر الربيع أن يتحدث ويصف لنا يوم ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، هذا اليوم الأغر الذى طالعنا بعطره الفواح ذى الرائحة الذكية حتى نعبق منه ، هذا اليوم تشرف بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضياؤه قد عم مكة كلها من أعلاها إلى أدناها فقـد شمل الربا والبطاح ، فلم نر مكانا إلا وعمه النور والضياء، ولذا فمن حق هذا اليوم أن يتيه فخاراً على بقية الأيام ، فهو مثل التاج على هام الزمان ، فقد أضيىء فيه الكون وأنير بالمصباح ، وفى هذا القول إشارة إلى معنى قولـه تعالـــى :ـ

(يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا* وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منـــيرا)(١).

التحليل البلاغـى:

يطالعنا الشاعر بأمر للجليس الذى ينادم صاحبه بأن يتحول عن هذا، وهو قوله (دع) بمعنى: اترك وأبعد،وهو أمر للالتماس، يلتمس به الشاعر تنفيذ المأمُور به ليتفرغ إلى ما هو أهم من ذلك وهو الفرح بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فالأفراح بهذه المناسبة يتلذذ بها المؤمن وهى تشـبه التلـذذ بالخمر عند غير

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥ ، ٤٦.

المؤمنين بل يزيد ، فقولـه (**بخمرة الأفراح**) تشبيه أضيف فيه المشبه به إلى المشبه ، حيث إن المعنى : أفراح تشبه الخمر فى الالـــتذاذ بهـا.

ونرى فصلا بين شطرى البيت ، وذلك لما يسمى بكمال الانقطاع بلا إيهام حيث اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء فالأولى إنشائية لفظا ومعنى والثانية خبرية لفظا ومعنى.

كما نرى جناساً بين قولـه (**الراح**) وقوله (**الأفراح**) وهذا مايسمى بالجناس الناقص ، وذلك للاختلاف فى عدد الحروف وهنا الاختلاف بزيادة أكثر من حرف[1].

والبيت كله كناية عن السعادة والفرحة الغامرة التى ملأت قلب الشاعر.

ثـم نرى فى **البيت الثانى** سؤالا يطرحه الشاعر وهو: فهل شهد الملا نشوان لم يشرب من الأقداح ؟ إنه سؤال يشد السامع إليه كى يرنو بناظريه، ويلقى بسمعه إليه ، حتى يكشف له عن سبب ارتياحه وسعادته، فربما كان هذا الأمر غريبا حيث يسكر الشخص دون شراب. فالاستفهام للتعجب والنفى وهو أبلغ حيث نفى المعنى عن طريق الاستفهام.

وإجابة هذا السؤال يكشف عنها البيت الثالث حيث يجعل السبب هو حلول شهر الربيع شهر مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم،فهو يشبه الشهر بمن يعقل فيناديه بقوله : شهر الربيع حللت نورا ساطعا ففى قوله: شهر الربيع

---

(١) انظر المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى ص ٤٤٨ مطبعة أحمد كامل سنة ١٣٣٠هـ.

حللت استعارة مكنية،حيث شبه الشهر بإنسان وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو هنا النداء، حللت.

وأيضا فيه تشبيه صريح حيث شبه الشهر بالنور الساطع فجاء المشبه به حالا من المشـــبه .

ولا يخفى أثر الاستعارة فى الكلام من حيث التشخيص والتجسيم والمبالغة ، وأيضا للتشبيه مزية التوضيح والتبيين.

وهو هنا لا يقصد تشبيه الشهر بالنور من حيث هو شهر، إنما يقصد من حيث ارتباطه بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم من التعبير باللازم وإرادة الملـزوم وهذا ما يسمى بالكناية .

ثم عبر الشاعر بالاستعارة فى قوله (**يجلو ظلام الكرب والأتراح**) فالشهر لا يجلو الظلام ، لكنه شبهه بقمر مضىء ، وحذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمـه وهو (**يجلـو**) على سبيل الاستعارة المكنية.

كما نلحظ طباقا بين قوله (**حللت ويجلو**) وقوله (**نوراً وظـلام**) فقد جمع بين المتضادين ، أى : المعنيين المتقابلين فى الجملة ، وهذا من المحسنات البديعية المعنوية التى تزيد المعنى جمالا وحسنا(١).

وفى البيت الرابع يتجلى جمال الاستعارة حيث يخيل لنا الشهر قد أصبح شخصا ذا مكانة عالية ، ينتظره الكثيرون ، وحينما يرونه تتهلل أساريرهم وتفرح

---

(١) انظر الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ـ رحمه الله تعالى ـ ٦/ ٥ ، ٧ الطبعة الثانية ١٩٨٤م الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

قلوبهـم برؤيـة جبينـه الأغـــر الواضح الحسن ، فهو يشبه الشهر بذلك الرجل ويحذف المشبه به ويأتى بلازم من لوازمه وهو السعادة عند رؤية جبينه على سبيل الاستعارة المكنية.

وفى البيت الخامس نجد كناية عن صفة هى الفرح والسرور بمقدم هذا الشهر العظيم، فتغريد البلبل بصوت عذب يطرب المستمعين كناية عن الفرحـة الغامرة ، وتقديم الجار والمجرور فى قوله (**بالروضة الغناء**) على الفعل والفاعل (**غرد بلبل**) يوحى بالتفاؤل والبشر حيث المكان الجميل وهو الروضـة الغناء، كما يفيد التقديم التخصيص ، لأن التخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ، وهو تقديم ماحقه التأخير، ويفيد التقديم وراء التخصيص الاهتمام بشأن المقدَّم(١).

والتقييد بقولـه (**فوق الغصون**) فيه إشعار بكمال التغريد ، حيث إن مكان البلبل الطبيعى فوق الغصون ، وحينئذ تكتمل سعادته فيشدو بأعذب الألحان ، لذا يجود بصوت صداح يطرب المستمعين.

أما البيت السادس ففيه تقديم المفعول به على الفعل والفاعل فى قوله: (**والكون يملؤه الضياء**) والأصل : يملأ الضياءُ الكون وذلك للتخصيص والإفادة بأن الكون كله قد عـمَّ بالضياء ، فلـو قال : يملأ الضياءُ وسكت لا حتمل المستمع احتمالات كثيرة مثل : يملأ الضياء الحجرة أو المنزل أو الساحة ،

---

(١) انظر دلائل الإعجاز . للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٨٣ ، ٨٤ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٨م.
وانظر كذلك الإيضاح ٢/ ٢١٦ حيث يذكر تقديم الجار والمجرور فى قوله تعالى : (لإلى الله تحشرون) ويقول : معناه إليه لا إلى غيره، وفى هذا تخصيص.

أو الشارع ولكن بتقديم المفعول به وجعله مبتدأ أفاد التخصيص والقصر بأن الكون كله قد امتلأ بالضياء وهذه ميزة

التقديم فى هذا الموقع فقد قصر الضياء على الكون كله وعممه فيه، وكان يمكن أن يكون الضياء خاصا مع غير التقديم ، قاصرا على بعض الكون دون بعضه.

ثـم يأتى قولـه (**كأنه قد لف من نور الهدى بوشاح**) فالضمير فى (**كأنه**) يعود على الكون ، فنرى تشبيه الكون مقيدا بامتلائه بالضياء بكونه قد لف من نور الهدى بوشاح ووجه الشبه شمول النور وعمومه .

كما نرى تشبيها فى (**نور الهدى**) فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والأصل : الهدى نور ، فقد شبه الهدى بالنور بجامع الاهـتداء وهذا جزء من الصورة الكلية للتشبيه .

فنعم ما اتشح به الكون ، فالوشاح العادى يزين المتشح به فما بالك بوشاح من نور الهدى !! .

ويأتى **البيت السابع** فنرى فيه استعارة مكنية فى قولـــــه :

(**للهدى باب**) فقد شبه الشاعر الهدى بمنزل له باب بجامع الحفظ والأمان، ثم حذف المشبه به وأبقى لا زما من لوازمه وهو (**باب**) وأسنده للمشبه،لكن هذا الباب قد أغلق قبل مجىء المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم أرسل الله فى الرسول بالمفتاح ، فهو قد شبه الرسول بالمفتاح ووجه الشبه هو الوصول إلى الهدف فى كل ، فهو الفاتح لما أغلق صلى الله عليه وسلم ، وهذا تشبيه الغرض منه توضيح وبيان المشبه ولا نغفل مافى الاستعارة السابقة وهى تشبيه

الهدى بمنزل .. من تجسيم وتشخيص وإيحاء ومبالغـة، وهذه هى وظيفة الاستعارة لما فيها من تخييل.

وهناك طباق فى قوله (**أغلق ... بالمفتاح**) فقد جمع بين ضدين وهما الإغلاق والفتح ، وهذا مما يضفى على المعنى حسنا وبهاءً.

والبيت الثامن يستنطق فيه الشاعرُ الشهر فيقول لـــه :

(**حدث أيا شهر الربيع وصف لنا يوما**) وهذا من قبيل الاستعارة المكنية التى يشبه فيها الشاعرُ الشهر بإنسان عاقل ثم يحذفه ويبقى لازما من لوازمه وهو (**حدث .. صف**)،وهذا مما تجلت فيه بلاغة الشاعر حيث استطاع أن يجسم ويشخص الزمان ويخيله لنا إنسانا يحدثنا ونحدثه ويصف لنا ما حدث فى يوم المولد الشريف من امتلائه بالعطر الفواح.

كما نرى فى قوله (**يوما أهل بعطره الفواح**) استعارة مكنية أيضا، فقد شبه اليوم بشخص تمتلئ ثيابه عطرا وهو يطلع علينا فنشتم منه الرائحة الذكية ، وحذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وهو (**أهل**)

وفى البيت التاسع يبدأ بقولـه (**يومٌ به ولد الهدى**) ويوما هذا بدل من لفظ (**يوما**) فى البيت السابق (**يومٌ أهلّ**) وكأنه يريد أن يكمل صفات هذا اليوم وما حدث فيه من بركات ويقصد به هنا يوم المولد ، فضياؤه قد عـمَّ مكة من رُبـًا وبطاح، ولفظ (**عمّ**) يفيد الشمول والإحاطة والمبالغة.

وبين (**ربا وبطاح**) طباق إيجاب ، حيث جمع بين متضادين معنييهما موجب بلفظين من نوع واحد، وهما هنا اسمان، والطباق ـ كما نعلم ـ محسن

بديعى معنوى ، أى يرجع فيه الحسن إلى معنى الكلام فى الأصل ، وإن كان بعضها لا يخلو من تحسين اللفظ(١).

ولا يفوتنا أن نذكر سبب تقديم الجار والمجرور فى أول البيت فى قوله (**يوما به ولد الهدى**) فقدم (**به**) على الفعل والفاعل (**ولد الهدى**) للاختصاص والأهمية ليقصر الخير على هذا اليوم ، وكذا عموم الضياء بمكة كلها.

وننتهى إلى البيت العاشر والأخير فى هذه المقطوعة ، حيث نراه يفصح عن استعارة مكنية فى قوله (**يوما على هام الزمان مُتَوِّجًا**) حيث جعل اليوم يلبس تاجا وكأنه أمير الأيام ، وحُقَّ له أن يتأمَّر ، فشبه اليوم بإنسان عظيم يلبس تاجا ، وحذف المشبه به ، ورمز له بلازم من لوازمه ، وهو التاج ، وأيضا فى قوله (**هام الزمان**) استعارة مكنية حيث شبه الزمان بإنسان وحذفه ورمز له بلازم من لوازمه وهو هام حيث إن (**هام**) جمع هامة وهى الرأس ، والمعنى : على رءوس الزمان ، وهى كناية عن الأيام والشهور والسنوات فهما استعارتان متداخلتان (**يوما متوجا**) (**على هام الزمان**) فقد أجاد الشاعر استخدام الاستعارات الموحية بالتشخيص والتجسيم والمبنية على التخييل والمبالغة.

ثم نجد قوله بعد ذلك (**فالكون فيه أنير بالمصباح**) فيه أيضا استعارة ، لكنها فى هذه المرة ولأول مرة استعارة تصريحية فقد شبه الرسول صلى الله عليه

---

(١) انظر شروح التلخيص ٤/ ٢٨٨ الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر ١٣٤٣هـ (والشروح هى : مختصر العلامة سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ، مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى، عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للسبكى ، وبالهامش كتاب الإيضاح للقزوينى، وحاشية الدسوقى على شرح السعد).

وسلم بالمصباح ، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به ، والجامع بينهما النور والضياء، وكما قلنا ـ فى المعنى الاجمالى سابقا ـ إن الشاعر يلوح إلى قوله تعالى (**وسراجا منيرا**) لذا استعار له هنا المصباح ، وبناء الفعل (**أنير**) للمجهول ينبئ عن أن الفاعل هو الله الذى أنار به الكون ، فالبناء للمجهول للعلم بالفاعل.

وبهذا ينتهى شرح وتحليل الأبيات العشرة الأولى من القصيدة والتى هى بعنوان (**فرح واستبشار**) ، ولنذهب ـ بمشيئة الله تعالى ـ إلى المقطوعة الثانية والتى هى بعنوان (**وصف مهمة الرسول وقوة تحمله**).

٢ـ وصف مهمة الرسول وقوة تحمله

١١ـ هذا الذى قد جاءنا برسالـة	تهدى وتُرْشدُنا سبيل فــلاح(١)
١٢ـ نشر الهداية فى الجهالة فانطوت	مثل الظلام طواه نورُ صـــباح
١٣ـ لم يثن عزمَ محمدٍ قولُ الملا	قـدْ نا له مَسّ مـــن الأرواح
١٤ـ أوْيستكنْ لما رموهُ لجهلهـم	فأصيب من أحجارهـم بجـراح(٢)
١٥ـ لكَ يابنَ عبدالله عزْمُ مثابـر	تدعُو بجد لم يُشَبْ بمُـــــزاح
١٦ـ لله أنتَ لقد آذَوكَ فأمْعنـــوا	وجنوا عليْكَ بغُـــدْوَة وَرَواح(٣)
١٧ـ قد قاومتكَ عصابـة شريرة	منْ كل باغٍ مُشركٍ ســـفّاح

---

(١) هذا الذى : إشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهى إشارة للتعظيم.

(٢) يستكن : يذل ويخضع ويضعف (لسان العرب).

(٣) أمعنوا : أمعن فى الطلب إذا بالغ فى الاستقصاء، وأمعن فى الأمر:جد فيه (لسان العرب).

المعـنى الإجمالـــي:

يقول شاعرنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنه هو الذى جاءنا برسالة هادية لنا مرشدة إلى طريق النجاح والفلاح ، فلقد نشر الهداية فمحت الجهل والظلام مثل مايُمحى الظلامُ حين يفاجئه نور الصباح، فهو لم يثنه أو يضعف من عزمه قول الملأ ويقصد بهم صناديد قريش إن مسًّـا من الجن قد نال الرسول صلى الله عليه وسلم ، مشيرا بذلك إلى عرض قريش على عـم الرسول أن يترك ما جاء به مقابل أن يجمعوا له المال إن كان يريد مالا حتى يكون أكثرهم مالا ، وإن كان يطلب الشرف فهم يسودوه عليهم ، وإن كان يريد ملكا ملكـوه عليهم ، وإن كان هذا الذى يأتيه رئيا قد غلب عليه ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ـ بذلوا له الأموال فى طلب الطب حتى يبرأ مـــنه(١).

وأيضاً لم يضعف الرسول أو يخضع لإرادتهم حينما رموه بالحجارة ـ وهم يجهلون دعوته وعموم نفعها ـ حتى أدموا عقبه الشريف، وفى هذا إشارة إلى إيذاء المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم بالطائف حينما قصد إليها وأقام بينهم عشرة أيام يدعوهم فلم يستجيبوا له ، وقالوا له : اخرج من بلادنا ، وأغروا به سفهاءهم فتبعوه وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه ، ورموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، بعيدها لجأ الرسول إلى ربه يناجيه دون ما يأس أو ملل بالدعاء المشهور (اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين ٠٠٠ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى)(٢).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٠٧ (بتصرف) تحقيق دكتور محمد فهمى السرجانى بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر. الناشر المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ).

(٢) الرحيق المختوم للشيخ صفى الرحمن المباركفورى ص ١٤٩ ـ الجامعة السلفية ـ الهند ـ دار الريان للتراث الطبعة السادسة ١٩٨٨م .

ثـم يخاطب الشاعرُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم بقوله: يا بن عبدالله لك عزم مثابر تدعو بجد لم يختلط بهزل أو مزاح ، فلم تتوان ولم تكسل ولم تفتر عزيمتك، ثم يرد الأمر إلى الله بقوله : لله أنت لقد آذاك المشركون فأمعنوا وتفننوا فى أنواع التعذيب صباحا ومساءً، فهم عَصابة لا تعرف للرحمة طريقا، سفاحون سفاكون للدماء ، قاتلهم الله ويكفيهم أنهم مشركون.

التحليل البلاغـــى:ـ

فى البيت الأول من هذه المقطوعـة وهو البيت الحادي عشر من القصيدة يستخدم الشاعر الإشارة (هذا) واسم الموصول (الذى) فى قوله: (هذا الذى قد جاءنا برسالة) ليميز الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل تمييز باسم الإشارة لصحة إحضاره فى ذهـن السامع بوساطة الإشارة حسا ، كما عبر باسم الموصول لزيادة التقرير للغرض المسوق له الكلام ، ولتعظيم شأنـه(١).

كما نلحـظ استعارة مكنية فى قـوله (قد جاءنا برسالة تهدى وترشدنا) فقد خيل لنا أن الرسالة أصبحت شخصا يهدى غيره ويرشده، وحذف المشبه به وأبقى لا زما من لوازمه وهو (تهدى وترشد) وهو فى هذا صادق الحس، ففعلا قد هدت رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرا وأخرجتهم من الظلمات إلى النور كما قال ربنا :ـ

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد)(٢).

---

(١) المطول على التلخيص ٧٥ ، ٧٧.

(٢) سورة إبراهيم الآيـة١ .

والبيت سيق بأسلوب خبرى هادئ قـد خلا من التوكيد فهو ملقى لخالى الذهـن، فلا ينكره سامعه[١]، وكذا نلحظ بقية أبيات هذه المقطوعة وردت بالأسلوب الخبرى لأنها تبلغنا حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصف لنا حاله وقـوة عزيمتـه.

وفى البيت الثانى عشر تطالعنا استعارة مكنية أيضا وهى قولـه:ـ

(نشر الهداية فى الضلالة فانطوت) فقد شبه الهداية فى بثها وانتشارها وسريانها ومحوها للضلالـة بشىء حـسى يتغلب على غيره ويمحوه وحذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمـه وهو (نشر) ورشح لها بقولـه (انطوت) تقوية للاستعارة ، ثم جعل الاستعارة طرفا من تشبيه، فقد شبه هذا بنور الصباح الذى طوى الظلام ، وفى هذا الاستعمال من الاستعارة والتشبيه من الوضوح والظهور ما فيه .

ويستوقفنا ما فى البيت من طباقات بين (نشر ـ انطوت) ، (الهدايـة ـ الجهالة)، (الظلام ـ نور) فكل هذه الطباقات ساهمت فى تحسين المعنى وتزيينه وتوضيحه ، حيث جمعت بين الشئ وضده، وبضدها تتميز الأشـياء.

أما البيت الثالث عشر فنرى فيه تقديم المفعول به على الفاعل فى قولـه : (لم يثن عزم محمد قولُ الملا) ، فقد قدم المفعول به (عزم محمد) على الفاعل (قولُ الملا) للأهمية وذلك لبيان قيمة العزيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح للدكتور عبد المتعال الصعيدى ١/ ٤٥ الطبعة الخامسة ١٩٧٣م المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة٠.

وأنها قوية لا تزعزعها الجبال الرواسى، وكذا اختصاص الرسول بهذه العزيمـة القوية وأنه قد تفرد بها دون غيره[١].

فالبيت كنايـة عن قوة جَلَـد الرسول وصبره على تحمل الإيذاءات النفسية والجسدية ، فهو لم يثن عزمه قولُ ، ولم يضعف لما رموه بالحجارة .

وفى البيت الرابــع عشر يجــىء الفعل (يستكـنْ) معطوفا على(يُثْـنِ) ليكمل المعنى مع البيت السابق فى أن الرسول لم تلـن قناتـه ، ولـم تضعف عزيمته على الرغم من شدة ما فعله معه المشركون.

وجملـة (لجهلهم) معترضة لبيان شناعة صنيعهم ، وعظم جرمهم فهم لم يرمـوه خطأ ، بل كان هذا الرمى مقصودا متعَـمدًا ، وذلك لعدم معرفتهم بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته.

ثـم نرى أيضا قولـه (فأصيب من أحجارهم بجراح) مشعرا بصلابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظ الله له ، فمع أنهم رموه بالأحجار إلا أنه لم يصب إلا بجراح ، وكان من الممكن ـ مع غير الرسول ـ أن يصاب بشـجاج أو بمقتل ، لكـن الله كان يدفع عنه (**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**)[٢] (**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشـهاد**)[٣].

والبيت الخامس عشر يبدأ بجار ومجرور مقدم فيقول: (لك يابن عبدالله عزم مثابر) والأصل: يا بن عبد الله عزم مثابر لك ، أو يابن عبد الله لك عزم

---

(١) بغية الإيضاح ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩.

(٢) سورة الحج من الآية ٣٨.

(٣) سورة غافر الآيـة ٥١.

مثابر) لكنه قدم الجار والمجرور للاختصاص، فالمعنى لك لا لغيرك عزم مثابر، لأن التخصيص لازم للتقديم غالبا كما قلنا[١].

وأكد قوة العزم بما جاء فى الشطر الثانى من البيت وهو قولـه:ـ

(تدعو بجد لم يشب بمزاح) وهذا كناية عن استمرارية الدعوة وعدم الركون إلى الراحـة ، والسعى إلى الغرض المقصود مهما كلفه من مشقة وعناء ، فلم يخلط جَدَّيَّـةَ الدعـوة بمزاح حتى لا ينفرط عقد الجـد ، فتضيع الغايـة المنشـــودة.

ونرى طباقا بين قوله (جـد ـ مزاح) الغرض منه تحسين المعنى وتزيينه لأنه محسن بديعـى معنوى يزيد المعنى جمالا ووضوحا.

وفى البيت السادس عشر نرى الشاعر يفتتحـه بأسلوب استغاثة وهو (لله أَنْـتَ) فالمستغاث به هو الله، والمستغاث يُجَـر بلام مفتوحـة، ويُجَر المستغاث له بلاَم مكسورة،وإنما فتحت مع المستغاث لأن المنادى واقع موقع المضمر، واللام تفتح مع المضمر نحو (لَكَ ، ولهُ)[٢].

وهـنا حذفت الياء من المستغاث وهذا جائز ، ولم تأت اللام قبل المستغاث له، لأن المستغاث له ضمير مخاطب .

---

(١) انظر دلائـل الإعجاز ٨٧ ، بغية الإيضاح ١/ ٢٢٨.

(٢) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣/ ٢٨٠ ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة السادسة عشرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

فالشاعر يستغيث بالله للرسول صلى الله عليه وسلم مما يحدث معه من صناديد الكفر وعمالقة الشرك ، فقد آذوا رسول الله إيذاءً لا ينقطع فأمعنوا فى الإيـذاء وهذا اللفظ يدل على المبالغة والجدية والاستقصاء فى الطلـب ، وهو يدل أيضا على الحنكـة والدقـة فى إصابة الهدف فهم مستمرون فى الإيذاء فى الغدوة والرواح ، وفى هذا كناية عن الاستمرارية حيث إنهم كرَّسُـوا جهدهـم ووقتهم لهذه المهمـة.

وفى قولـه (الغدوة ـ الرواح) طباق كما هو واضح ، وهذا من شأنه إظهار المعنى وتوضيحه بمقارنـة الضد إلى ضـده .

ويأتى البيت السابع عشر والأخير فى هذه المقطوعـة ليكمل المعنى مع سابقه فى أن الرسول قد أوذى كثيرا ـ فى الله ـ واحتمل ذلك فيقول (قد قاومتك) ولنا أن نلحظ أن عصابة أى : مجموعة ولها صفة الشر فهى شريرة ، وصفة البغى فهى باغية ، وصفة الشرك فهى مشركة ، وصفة السفح فهى سفاحـة ، كل هذه الصفات على تلك الأفراد تقاوم شخصا واحدا وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لكن ما ظنك بشخص معه ربه فهو ناصره ومؤيده ، وكل هذا الإيذاء لا لشئ إلا أنه يدعوهم إلى عبادة الله وحده .

وساهمت الألفاظ (باغ ـ مشرك ـ سفاح) فى إخراج المعنى المقصود من أنهم لا يعرفون للدين ولا للحق سبيلا ولو أنهم يمتلكون أدنى درجـــات الإنسانـية لعرفوا أن الرسول إنسان بشر يوحى إليه لا يستحق منهم ذلك بل ـ مع النظرة الثاقبة ـ يستحق التكريم والتعظيم لأنه يدعوهـــم إلى نبذ الضـلال وعدم تعظيم غيْر الله ، والانصياع إلى أوامر الله عـز وجل الذى خلقهم وكرمهـــم .

وحَسْب الرسول من ذلك أن الله ناصره ومؤيده على أعدائه، (**ولينصرن اللهُ من ينصره إن الله لقوى عزيز**)[١]، (**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز**)[٢].

٣ ـ ليلة الهجرة

١٨ـ إذ قُمتَ تبنى للمنار دعائماً	وتقيمُ رُكنَ الهدىَ والإصْلاح[٣]
١٩ـ فَأتوْا بجمع من شباب طائش	قد دججوهُ بعُدَّة وسلاح[٤]
٢٠ـ قالوا لهُ اذهبْ فَأْتينَّ بأحمد	فوقَ السيوفِ وفوقَ سنَّ رماح
٢١ـ لنْ يستطيع شبابُهم نيل المنى	قسماً بربى فالق الإصباح[٥]
٢٢ـ فسلاحُهم غدر وبغىُ جهالةٍ	وسلاحُه نصر من الفتاح

المعنى الإجمالى:ـ

يخاطب الشاعرُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم وفى خطابه إشفاق وحب لمخاطبه ، فهو الذى أراد أن يبنى للدين قواعدَ وأسسا يمضى عليها الناس ، ويقيم

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٠.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢١.

(٣) المنارة: التى يوضع عليها السراج مفعلة من الاستنارة والقياس الكسر لأنها آلة ، والمنارة: التى يؤذن عليها أيضا والجمع مناور، ومنائر؛ والمقصود هنا : النور والحق والدين (انظر كتاب المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى تأليف أحمد بن محمد على المقري الفيومى ٢/ ١٤٢ طبع بالمطبعة الخيرية (بدون تاريخ).

(٤) دججوه:دجج فلانا ألبسه السلاح، المدجج من عليه سلاح تام (المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية مادة دَجَّ ص ٢٢١ طبعة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٥) فالق الإصباح: أبداه وأوضحه، والفالق هو الذى يفلق أى: يشق والقصد هنا : الصبح ينشق من ظلام الليل.

ركنا ركينا للهدى والإصلاح ، فإذا بهؤلاء الكفرة الفاسقين يأتون بجمع من شبابهم خرج عن الصواب فهو طائش أحمق ، قد سلحوه بأحدث أسلحتهم وعُدَدهـم ، ثم طلبوا من هذا الجمع أن يأتى إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فيأتى به فوق السيوف والرماح ، ولكن هيهات ، فلن يستطيعوا أن يصلوا إلى مآربهم ، قسما بالله الذى شق نور الصباح القادر على كل شىء ، فقد نجاه الله من هذه المؤامرة الدنيئة، فسلاحهم لا يعْدو إلا أن يكون سـلاح غدر وبغى وظلـم ، وسلاح المصطفى صلى الله عليه وسلم مؤيد من رب العالمين فهو نصر مبين من الفتاح العليم ، ولا بد للباطل أن يُزْهـق ، ولا بـدَّ للحق أن ينتصر.

التحليل البلاغـــى:

أول ما يطالعنا من أبيات هذا المقطع من القصيدة هو خطاب الشاعر للرسول بعد أن ذكر فى آخر أبيات المقطع السابق أن عصابة من البغى والشرك قد قاومتك ، وهنا تأتى نهاية المقاومـة فى ليلة الهجرة حين أن أمر الله رسـوله بالهجرة فترصدوه ؛ وهو يريد أن يبنى قواعد للدين فقولـه (تبنى للمنار دعائما) استعارة حيث شبه الدين والنور والحق بشىء محسوس مثل المنزل مثلا يبنى ، وكذا فى قولـه (وتقيم ركـن الهدى والإصلاح) استعارة أيضا وهما استعارتان مكنيتان، وحذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وهو (تبنى ـ دعائـم ـ تقيم ركـن) كل هذه اللوازم تشير إلى بناء حقيقى فخيل لنا أن الدين كذلك يبنى وله صرح وأعمدة وأركان ودعائـــم ، فما أروع شاعرنا فيما اختار من ألفاظ!!.

ويأتى البيت التاسع عشر ليكون كالجزاء غير الطبيعـى لمن فعل خيرا فقد أتوا بجمع من شباب لا دين له ولا عقل قد أعدوه وألبسوه سلاحا فتاكا ، وهـذا يشير إلى مدى استعدادهـم للفتك برسول الله وكلفوهم بالإتيان به فـوق السيوف والرماح وهذا كناية عن قتلـه.

وكان من الطبيعى أن يكافأ الرسولُ بالانصياع لأوامره ، والاستماع لأقوالـه ، والانقياد والتأسى به ، ولكن أين هذا من أناس بعيدين عن المنهـج؟ .

والشاعر بهذين البيتين والذى بعدهما يشير إلى تجمع المشركين أمام دار الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ليقتلوه ، لكن الله أوحى إلى رسوله فأخبره بهذه المؤامـرة الدنيئـة ، وأن الله قد أذن له فى الخروج وحدد له وقت الهجـرة قائلا : " لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبـيت عليه"(١) .

والبيت العشرون ينفذ أوامر المشركين حيث قالوا للجمع اذهب فأتين بأحمدَ فوق السيوف وفوق سن رماح، وهذا القول منهم كنايـة عن سرعة التخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعل الأمر (اذهب) ثم الفعل الثانى الذى جاء مؤكدا بالنون (فأتينَّ) يدلان على الإصرار على الفعل ، والتعبير بـ (فوق) يدل على التنفيذ ، وهذا يصور لنا مدى بشاعـة الانتقـام .

ثـم يأتى الشاعر فى البيت الذى بعـده فينفـى حدوث هذا ، مقسما بربـه أنهم لن يستطيعوا ذلك ، مستخدما أداة النفى (لـن) التى تفيد التأبيد عند الزمخشرى بشرط إطـلاق منفيها وخلـوه من القيود(٢) .

فالشاعـر قد نفـى الوصول إلى ما أراده هـؤلاء البغاة السَّـفَّاحون من إيقاع الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد على ذلك بالقسم بالله الذى أبان نور الصبح بعد ظلام الليل فهو القادر على حفظ رسوله من أعدائـــه .

---

(١) انظر زاد المعاد فى هدى خير العباد . للإمام ابن قيم الجوزية ٢/ ٥٨ دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) ، وانظر الرحيق المختوم ص ١٩١.

(٢) انظر دراسات فى النحو للدكتور عبد السميع شبانه ـ رحمه الله ـ ص ٨ ، ٩ الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

إذن اجتمع مؤكدان على عـدم قدرة هؤلاء على الوصول إلى أمانيهم هما النفى بلن فهو يفيد التأكيد والتأبيد ، والقسم بالله المفيد للتأكيد.

ثـم يعطى الشاعر الدليل على ذلك فيقول فى البيت الثانى والعشرين

فسلاحهم غدر وبغىُ جهالة ٠٠ وسلاحه نصر من الفتاح

ففى هـذا البيت يؤكـد عدم قدرتهم على الوصول إلى مآربهم ، لأن سلاحهم ليس مثل سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم فسلاحهم غدر وبغى جهالة ، وسلاح الرسول نصر من الفتاح .

ولنا أن نلحظ ما فى التعبير بقوله (فسلاحهم غدر ، وبغى جهالة) من بلاغـة، ففـى هذا القول مجاز عقلـى وهو المسمى عند الإمام عبد القاهر الجرجانى (المجاز الحكمى) فالتجوز ليس فى نفس الكلمة، وإنما التجوز فى أن الشاعر قد جعل سلاحهم من كثرة غَدْرهـم به وبَغْيهم دون وجـه حق كأنه غدر وبغى جهالة ، والعلاقة الفاعلية فالذى يغدر هو صاحب السلاح وكذا الذى يبغى ويجهل هو صاحب السلاح.

وأيضا نفس الحكم ينطبق على قول الشاعر (وسلاحه نصر من الفتاح) فإن الشاعر لم يرد بالنصر غير معناه فيكون قد تجوز فى نفس الكلمة ، وإنما التجـوز فى أن جعلـه لكثرة الانتصار به كأنه أصبح نصرا ، والعلاقـة أيضا الفاعلـــية.

والإمام عبد القاهر الجرجانى ـ رحمه الله ـ له بيت فى المجاز الحكمى يشبهه البيت الذى معنا فهو يقول :

ومما طريق المجاز فيه الحكـم قول الخنســاء :

تَـرتَع مَارتَعَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ ٠٠ فإنما هى إقبال وإدبارُ

ويقـــول فى التعليق عليـــه:ـ

" وذاك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما فتكون قد تجوزت فى نفس الكلمة ، وإنما تجوزت فى أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله بها وأنه لم يكـن لها حال غيرهما كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار ، وإنما كان يكون المجاز فى نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معناهما الذى وُصِفَا له فى اللغة ، ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته فى شىء "(١).

وشاعرنا قد أجاد فى استخدام المجاز الحكمى حيث المبالغة فى التعبير ووصف سلاحهم، ووصف سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم وشتان ما بين السلاحين ، حيث سلاحهم غدر وبغى ، وسلاح الرسول نصر من الفتاح العليم ، وهذا المجاز كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ فى الإبداع والإحسان، والاتساع فى طرق البيان .

---

(١) دلائـل الإعجاز ٢٣٣.

٤ ـ صفة الصحابـــة

٢٣ـ فى جنة الرضوان قوم قدْ أبوا	إلا الصمود أمام كـلِّ ريـــاح
٢٤ـ قد أُشْرِبُوا كأسَ العذاب فلم تلنْ	منهمُ قناة عزيمـةٍ يا صـــاح
٢٥ـ فحديثُ عمارٍ ومن فى الله قد	ذاق العنا والظلم كابن ربـــاح
٢٦ـ قَدْ فَاهَ بالتوحيد لم يشكُ الأسى	إذ عذبوه ولم يَفُـه بِنُـــواح
٢٧ـ فهو الجديرُ بأن يكون مُؤَذِّنا	فى يوم كلل سعيهم بنجـــاح

المعـنى الإجمالـى:

بدأ الشاعر فى هذه الأبيات يتحدث عن ألوان العذاب وأشكال الإيذاء الذى وقع بالصحابة أول إسلامهم ، فيذكر أنهم قد سعدوا فى الدنيا بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الآخرة بجنة الرضوان لأنهم أبوا ورفضوا كل ما عرض عليهم من متاع الدنيا وصمدوا أمام الرياح العاتية التى تهب عليهم من كل جانب ، فهم قد أشربوا كأس العذاب من المشركين ، منهم من كان عبدا ـ أيام كان الرق موجوداً ـ كعمار بن ياسر ، بلال بن رباح ، ومع هذا لم يضعفوا ولم يرتدُّوا عن الإسلام فعزيمتهم قويـة لا تفتر فكان عمار بن ياسر قد أسلم بدعوة أبى بكر الصديق رضى الله عنه له ولغيره إلى الإسلام فاستجاب عمار وكان هو وأبوه وأمه عبيداً لبنى مخزوم ، وأسلموا جميعا ، فكانت بنو مخزوم يخرجون به وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمـر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : " صبراً آل ياسر موعدكـم الجنة " . فأما أمه فقتلوها وهى تأبى إلا الإسلام"[1].

أما بلال فكان مملوكا لأمية بن خلف بن وهب ، وكان يخرجه إذا حميت الظهيرة فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٢١.

له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد ، وبقى على هذا الحال حتى مر به سيدنا أبو بكر الصديق يوما ، فقال لأمية ابن خلف :ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى ، فقال سيدنا أبو بكر : أفعل فاستبدله بغلام كان عنده لا زال على دينه وخلص بلالا وأعتقـه(١).

فالشاعر يتحدث عن الذين صمدوا أمام كل الظروف والأحوال وذكر منهم اثنين هما عمار بن ياسر ، وبلال بن رباح ، فهما قد ذاقا العذاب ألوانا ، وتفوها بكلمة التوحيد ، ولم يشكُوَا الظلم إلا لله ، ولم يتفوها ببكاء أو نواح ، لذا كان بلال جديرا بأن يصعد إلى المئذنة ويحظى بشرف التأذيـن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد أن كلل الله سعـيهم بالنجاح ، وهكذا تكون العاقبة لمن اتقـى وصـبر.

التحليل البلاغي :ـ

يبدأ البيت الثالث والعشرون بقول الشاعر : (فى جنة الرضوان قوم) وقد قدم الجار والمجرور على المبتدأ ، وإن كان هذا تقديما نحويا حيث لا يصح الابتداء بالنكرة (قوم) إلا أن للبلاغـة فيه دوراً فالتقديم هنا للتخصيص لأنه فى غالب الأمر لازم للتقديم ، ويفيد أيضا الاهتمام بشأن المقدم(٢)، ويفيد أيضا البشارة والإسراع إلى المقصود من حيث الإخبار عن هؤلاء بأنهم فى جنة الرضـوان فلو أنه أخر الجار والمجرور إلى نهاية الكلام بأن قال : قوم قد أبوا إلا الصمود أمام كل

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٢٠.

(٢) الإيضاح ٢/ ٢١٥ ، ٢١٧ ، وانظر كذلك بغية الإيضاح ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩.

رياح فى جنة الرضوان، لما كانت اللـذة فى الاستماع إلى الجزاء مثل ما كانت فى التقديم.

وفى قولـه (الصمود أمام كل رياح) كناية عن الشجاعة وقوة التحمل والمواجهة وبلاغة الكناية أنها تقدم المعنى مصحوبا بالدليل.

ويأتى البيت الرابع والعشرون ليصحبنا إلى استعارة مكنية متمثلة فى قولـه (أشربوا كأس العذاب) ، فقد صور لنا أن العذاب يمكن أن يشرب فشبهه بسائل وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو (كأس) وبناء الفعل للمجهول يدل على الإجبار والإكراه فيما شربوه ، فلم يكن لهم فيه اختيار بل أُلجئوا إليه . فنعم ما عبر به الشاعر من ألفاظ ذات دلالات خاصـة.

وقولـه: (فلم تلن منهم قناة) كناية عن الصلابة والقوة وشدة البأس وأضاف القناة إلى العزيمة للتخصيص ، ثم قال: يا صاح للتنبيه وهى مرخمة وأصلها (يا صاحبى) واضطر إلى الترخيم لأجل القافية(١).

ويأتـى البيت الخامس والعشرون ليدلل على وقوع التعذيب بذكر بعض من ساموا هذا العذاب فذكر اثنين منهم هما عمار بن ياسر، وبلال ابن رباح ، وربما احتاج منطوق البيت إلى تكملـة فالمفروض أن يقال:

---

(١) يا صاح:مرخم ترخيما غير قياسى لأنه نكرة، والقياس ألا يرخم مما ليس آخره تاء إلا العلم ومثله قول الشاعر:

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو ت فنسيانه ضلال مبين

انظر شرح ابن عقيل ١/ ٢٦٦.

فحديث عمار ومن فى الله قـــد ٠٠ ذاق العنا والظلم كابن رباح خير شاهد على ما وقع بهؤلاء الصحابة ، ولكن ضيق عليه الشعر فاضطر إلى ذكر ما ذكره، وقوله : (ومن فى الله) كناية عن الذين يماثلونهـــم.

وفى قولـه (**ذاق العنا والظلم**) استعارة مكنية وباعتبار الخارج هى مجردة، والمجردة ما قرنت بما يلائم المستعار له ، فقد شبه ما يدرك من أثر الضر والألـم بما يدرك من المر والبشع ، وقال الزمخشـرى: الإذاقـة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر وأذاقـه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع[1].

ثـم يقول فى البيت الذى بعده (**قد فاه بالتوحيد**) أى: تفوه أى: نطق ويشير بذلك إلى قـول بلال : أحـد أحـــد.

والتعبير بالتوحيد مجاز مرسل علاقته الكلية فقد عبر بالكل وأراد الجزء وهـو (**كلمـة**).

وفى قولـه (لم يشْك الأسى إذ عذبوه) كناية عن الصمود وقوة الإيمان ، وأيضا قولـه (**ولم يفه بنواح**) كناية أخرى عن الجلد وقوة التحمل ، وفيه طباق بين (**فاه ـ لم يفـه**) وهو ما يسمى بطباق السلب وهو الجمع بين فِعْلَى مصدر واحد مثبت ومنفى أو أمر ونهى[2]، فهنا جمع بين الفعلـين (**فاه ـ لم يفـه**) أحدهما

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. للزمخشرى ٢/ ١٣١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(٢) انظر بغية الإيضاح ٤/ ٧ ، ٨.

مثبت والآخَـرُ منفى ومعلـوم ما للطباق من أثر فى تحسين المعنى إذ جمع بين الشىء وضده.

ثـم خص بلالا أيضا بالجدارة حيث تحمل الكثير والكثير ولأجل هذا استحق أن يكون مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومجىء المسند إليه معرفا بالضمير فى قولـه (**فهو الجدير**) فلأن الفائدة تكمل بالتعريف والتعريف كمال التخصيص ، وتعريف المسند إليه بضمير الغيبة لأن ذكره قد تقدم لفظا فى البيت قبل السابق وصفته فى البيت السابق.

وكأن المعنى (**هو الجدير لا غيره**) فوقع التخصيص بالصفة وقولـه (فى يوم كُـللَّ سعيهم بنجاح) كناية عن بلوغ الهدف والوصول إلى المقصود وهو شيوع الدعوة وذيوعهـا.

٥ ـ فتح مكة وعفو الرسول عن أهلـها

٢٨ـ ألقت قريشُ وأيقنتْ بهلاكها	سيفَ الضلالة دونَ أىَّ نُبَـــاح
٢٩ـ لما تقدمت الكتائب نحوهـا	ما بينَ تكبيرٍ وبين صـــياح
٣٠ـ جزعَ البغاةُ من الرسول لأنهم	كمْ أتعبوه بشـدةٍ وكفـــاح
٣١ـ فرحوا فما ألفوْهُ أهْل عداوة	بلْ أهلَ مغفرةٍ وأهـلَ ســماح
٣٢ـ بسَطَ السَّلامُ على الربوع جناحه	لما أضاءَ الكونَ نورُ الماحِـى
٣٣ـ عرفُوا الطريقَ إلى الرشادِ وأدركوا	بالهُدى كلَّ مُحـرَّمٍ ومُـــباح
٣٤ـ اللهُ أكبرَ قَدْ أعزَّ جنـــودَهُ	والبُطْلُ قَدْ أضْحى بغـير جَناح

المعـنى الإجمالـى:ـ

هذا هو المقطع الخامس والأخير من القصيدة، وفيه يذكر الشاعر أن قريشا قد ألقت سلاحها الذى كانت تشهره فى وجه النبى وأصحابه، وذلك لما

رأوه قادماً لفتح مكـة ومعه أصحابه والمسلمون معهم بعتادهم وعددهم ، هنالك أيقنت قريش أنها لا محالة هالكـة فلم تُبْـدِ مقاومة ولاصراخا ولا نباحا بل التزمت الصمت أمام تكبير المسلمين وصياحهم واشتد جزع قريش لأنهم لم يقدمـوا للرسول وصحبه خيرا قبل ذلك فتأكـدوا أنه سينتقـم منهم ، فكـم أتعبوه وكـم آذوه وأغلقوا عليه أبواب الدعـوة حتى اضطر إلى الهجرة ،وهنا رأى الرسول ما آل إليه حالهـم من الخوف والاضطراب ، فقال لهم قولته المشهورة : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ وهنا يسـرعون إلى إجابة الخائف الجبان الذى لم يراع للإنسانية حقا، ولم يعرف للجوار أصولا،ولكنهم الآن لا يملكون إلا الخضوع فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم :" اذهـبوا فأنتم الطلقـــاء ".

وهنا تهللت أساريرهـم وفرحوا بعفو الرسول عنهم فما وجدوه أهل عداوة ، بل أهل صفح وسماح ومغفـرة ، وبهذا الصفح والعفو بسط السلام جناحـه على ربوع مكـة وأضاءت جوانبها بنور الماحى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وهنا عرفوا الطريق إلى الصواب وعرفوا المحرم والمباح لمَّا دخل الإســلام فى قلوبهـــم .

فى النهاية يعلو صوت الحق والعـزة ، فالله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، فقد أعز جنوده ، وانهـزم الباطل واندحر وكُسر جناحُـــه.

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكـن المنافقين لا يعلمون)[1]

---

(١) سورة المنافقون من الآية ٨.

التحـليل البلاغـى:ـ

بالنظر إلى البيت الأول من هذه المقطوعة وهو يحمل رقم ٢٨ نرى فيه استكانة وذلا للمشركين ، فقد ألقت قريشُ سيف الضلالة دون أى نباح، وإلقاء السيف كناية عن الاستسلام والذل ـ بعد ادعاء العزة ـ وقولـه : دون أى نباح ، وصف لهم بأنهم كالكلاب العاويات ، فقد كانوا دائـمى الفخر والثرثرة لكنهم اليوم وبعد دخول الرسول ومن معه مكة فاتحين ، أصبحوا لا يسمع لهم صوت ، فهو قد شبههم بالكلاب لم يعودوا ينبحون وهنا استعارة مكنية ، فقد شُبِّـهوا بالكلاب وحُذف المشبه به ورُمز له بلازم من لوازمـه وهو (**نباح**) ، ونرى جملة معترضة بين الكلام المتصـــل وهى قوله (**وأيقنـت بهلاكهـا**) وسط قولـــه (ألقت قريش ٠٠٠ سيف الضلالة دون أى نباح) لتفيد بأن إلقاء السلاح ليس لأجل الصلح ، ولا لأجل الحب والطاعـة ولكـن لأنها تأكدت بأنها لو حاربت ستهلك ، فجاء الاعتراض مبيناً سبب إلقاء السلاح ، ومؤكدًا جبن المشركـــين .

ولا ننسى أن نشير إلى قولـه (**سيف الضلالة**) أنه كناية عن أن سيوفهم لم تستخدم فى نصرة الله ورسوله ، بل استخدمت فى الضلال والباطل.

ويشعرنا التعبير بقولـه (**دون أى نباح**) بالهدوء الذى ساد بعد دخول الرسول مكـة ، فلم نعد نسمع صوتا ولا عنفـا.

ثـم فى البيت التاسع والعشرين يؤكد الشاعر سبب إلقائهم للسلاح فتقُّـدمُ الكتائـب الجمَّـة ، والتكبُير والصياحُ كل هذا يشعر بزلزال قادم عليهم لن يستطيعوا مقاومته ، فضلا عن شعور أهل الباطل بالرهبة من الحق ، وهـذا كناية عن القوة والعظـمة ثم نتج عن هذا جزعُ من البغاة ورهبة من الرسول ومن معـه، لأنهم علموا أنه سينتقم منهم بعد تمكنه وسيطرتـه عليهـــم .

وقولـه (**كـم أتعبـوه**) هنا كم خبرية تفيد الكثرة ، بمعنى كثيرا ماأتعبـوه بشدة وكفاح ، وكـم هنا لا تتطلب جوابا فهى بعكس الاستفهامية التى يطلب بها الجواب عن السؤال[1].

ويأتـى البيت الحادى والثلاثون ليعلـن فَرْحـةَ المشركين عندما علموا أن الرسول لا يحب الانتقام بل هو أهل مغفرة وأهل سماح .

وكأن هذا البيت مترتب على سياق بيت محذوف تقديره فلما دار الحوار بين الرسـول وأهل مكـة وقال لهم اذهـبوا فأنتم الطلقـاء ، فرحـوا بهـذا العفـو.

وربما وجدنا طباقـا بين (جزع فى أول البيت السابق ، وفرحوا فى أول هذا البيت) لنرى فيه التضاد بين الحالين وهو محسن بديعى معنوى ، وكذا نرى طباقا بين (**عـداوة ـ سماح**).

حينئـذ نرى السلام يبسـط جناحـه على الربوع بعد هذا العفو الشامل فشبه السلام بطائـر يبسط جناحه ، ثم حذف المشبه به وأبقى لازما من لوازمـه وهو (**بسـط**) ولفظ (**جناحـه**) تخييل فالتركيب استعارة مكنية والجناح تخييل بمنزلـة تخـييل الأظفار للمنية فى قول أبى ذؤيب:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ٠٠ ألفيت كل تميمة لا تنفع

وبمنزلـة تخييل اليد للشَّـمال، والزمام للقِـرَّة فى قول لبيـد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ومجموع هـذه الاسـتعارة تمثـيل[2].

---

(١) انظر الإيضاح ٣/ ٧١.

(٢) التحرير والتنوير. للشيخ الطاهر بن عاشور ١٥/ ٧٠ ، ٧١ مكتبة المدينة المنورة (بدون تاريخ). وانظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ١/ ١٣٩،١٣٨ شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الناشر مكتبة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٢م، حيث يقرر أن إثبات اليد للشمال لا يتعدى التخيل والوهم .

ويربـط شاعرنا شمول السلام لأنحاء مكة بإضاءة الكون من نور الماحى صلى الله عليه وسلم ، فشبه الرسول بالنور فى كون كل منهما يضىء فينير لغيره والتشبيه هنا من قبيل إضافـة المشبه به للمشبه والأصل الماحى نور ، والماحـى كناية عن موصـوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يمحـو ظلام الكفـر .

بعد ذلك يعود إلى وصف قريش فيقول: عرفوا بعد فتح مكة الطريق إلى الصواب ، فهم كانوا فى تيه وضلال ثم عرفوا الطريق السديد وأدركوا عن طريق الهدى الحرام والحلال بفضل هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ونلحـظ الترادف الذى يقوى المعنى ويوضحه فى قوله (عرفـوا ـ أدركـوا ـ الرشاد ـ الهدى) ، ثم نرى الطباق بين (**محرم ـ مباح**) بتوضيح المعنى بذكر ضـده وينهى حديثه بالتكبير والاعتراف بأن الله أكبرُ من كل كبير فقد أعز جنده ، وأضحى الباطل بغير جناح .

وهناك طباق خفى يفهم من الكلام بين قوله (**أعز جنده**) وبين (**والبطل قد أضحى بغير جناح**) فكون الباطل بغير جناح معناه : أصبح كسير الجناح مذلـولا .

وفى قولـه (**بغير جناح**) استعارة وكناية فالاستعارة فى تشبيهه بطائـر ضعيف لا يستطيع الحراك وحذفـه ورمـز له بلازم من لوازمه وهو (**بغير جناح**) أما الكناية فهى أنه مسلوب الإرادة لأن الطائر الذى لا يمتلك جناحا يصبح غير قادر على الحركة فكذا الباطل بعد أن كسر الحـقُّ جناحَـه وجـرَّده منه .

وبهـذا البيت تنتهى قصيدة شاعرنا هاشـــم الرفاعى فى ذكري ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أجاد الشاعر أيَّمـا إجادة فى استخدام المصطلحـات البلاغة وتطويعها للغرض الذى تحدث فيه.

خاتمـــة

وبعـد هذه الجولـة مع شاعرنا الفذ هاشم الرفاعى ، وما رأيناه من استخدامات بلاغية فى حديثه عن ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم ومادل على قدرته الإبداعية فى التعبير بالألفاظ الموحية والعبارات الشاهدة له بالتميز، فهو كما علمنا آنفا نظم الشعر وهو صغير، فلا غرو أن يجيده إجادة تامـة ولقد حَرَص على استخـدام الألفاظ التى تحمل المعانى السامية ذات القـدر المرتفع ، والمناسـبة للتعبير عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتحدث عن سيرتـه .

فهـو قـد نظم ـ كما ذكرنا آنفا ـ سبعا وثمانية ومائة قصيدة فى أغراض متنوعـة، وهو لا يزال فى سن صغيرة وهذا مما يقفنا على قوة شاعريته ونبوغـه المبكـر وسبقـه لأقرانـه، مع وفائه لكل غرض من الأغراض التى تحدث عنها ، فقد نـدَّ أقرانـه، وبرَّز على أنـداده ، فهو قد ولـد عملاقا، شهد له أساتذتـه بالسبق والتميز وبرع فى استخدام فنون البلاغة وسحـر البيان وحلق بنا فى سماء الخيال مع الأسلوب الأدبى الراقـى مما جعل قصائده فى المرتبة العليا من التميز غير مُفْـرِط ولا مُفَرَّط ، وبالجملة فقد طـوَّف بنا شاعرنا بحس مرهف وخيال ثاقـب وذكر لنا ليلة المولد وما تبعها من إشراق ونور ، وفرح واستبشار، ثم وصف لنا مهـمة رسول الله الشاقة وتغلبـه عليها وقوة تحملـه للإيذاءات والشدائد،كما شخص لنا ليلـة الهجرة وانتظار المشركين له أمام الباب ليقتلـوه ولكـن الله نجاه، واستعرض صفة الصحابة وقـوة شكيمتهم وشـدة صمودهم ، ثم فى النهاية ذكر فتح مكة وعفو الرسول عن أهلها مما دعا أكثرهم للدخول فى دين الله أفواجا.

كل هـذا بأسـلوب بليغ ومعنى رائـق ، وتعـبير جميل ، فقد لمس أكثر الألوان البلاغية ـ تقريبا ـ مما يدل على تمكنـه فى الناحية البلاغية ، وطبقها تطبيقا يناسب المقـام ٠

رحـم الله الشاعر الشهيد بقدر ما قـدم للإسـلام والعروبة .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحـبه وسلـم.

المصادر والمراجع

١- القـــرآن الكريـــم
٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى. شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . الطبعة الأولى ١٩٧٢م مكتبة القاهرة.
٣- الإيضاح فى علوم البلاغة . للخطيب القزوينى شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى. الطبعة الثانية ١٩٨٤م الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .
٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح . للدكتور عبد المتعال الصعيدى الطبعة الخامسة ١٩٧٣م المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة.
٥- التحرير والتنوير. للشيخ الطاهر بن عاشور . مكتبة المدينة المنورة (بدون تاريخ).
٦- دراسات فى النحو. للدكتور عبد السميع شبانه - رحمه الله - الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م.
٧- دلائل الإعجاز . للإمام عبد القاهر الجرجانى. الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ١٩٧٨م.
٨- ديوان هاشم الرفاعى - الأعمال الكاملة - تحقيق ودراسة عبدالرحيم جامع الرفاعى - مكتبة الإيمان بالمنصورة . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٩- الرحيق المختوم. للشيخ صفى الرحمن المباركفورى - الجامعة السلفية الهند- دار الريان للتراث . الطبعة السادسة ١٩٨٨م.
١٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد. للإمام ابن قيم الجوزية دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) .

١١ـ السيرة النبوية. لابن هشام. تحقيق دكتور محمد فهمى السرجانى بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ـ الناشر المكتبة التوفيقية (بدون تاريخ) ٠

١٢ـ الشاعر الشهيد للشيخ مصطفى الرفاعى تحقيق محمد كامل حتة دار المعارف بمصر ١٩٦١م

١٣ـ الشاعر هاشم الرفاعى اغتراب وألم ـ للدكتور محمد على سيد أحمد داود ـ رحمه الله ـ الطبعة الأولى ١٩٩١م بمطبعة الأمانة جزيرة بدران بشبرا مصر ٠

١٤ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر ـ الطبعة السادسة عشرة١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ٠

١٥ـ شروح التلخيص. الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر ١٣٤٣هـ

١٦ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام الزمخشرى ـ دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

١٧ـ لسان العرب٠ لابن منظور٠ طبعة مصورة عن طبعة بولاق الدار المصرية للتأليف والترجمة٠

١٨ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ـ تأليف أحمد بن محمد على المقرى الفيومى ـ طبع بالمطبعة الخيريـة (بدون تاريخ)

١٩ـ المطول على التلخيص. لسعد الدين التفتازانى ـ مطبعة أحمد كامل ٠١٣٣٠هـ ٠

٢٠ـ المعجم الوجيز٠ لمجمع اللغة العربية٠ طبع١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م٠

فهـرس الموضوعـات

الموضـــوع	الصفحـة
المقدمـــــــة	٦٧
التمهـــــــيد	٧٢
القصـــــــيدة	٧٥
فـــرح واستبشـــــار	٧٧
وصف مهمـة الرسول وقوة تحمله	٨٦
ليلـــــة الهجـــــرة	٩٣
صفـــة الصحابـــــة	٩٨
فتح مكة وعفو الرسول عن أهلها	١٠٢
خاتمـــــــــة	١٠٧
المصـــادر والمراجـــع	١٠٩
فهـــرس الموضوعـــات	١١١